المجتمع الاسلامي بين الوسطية والتطرف
قراءة انثروبولوجية في منظومة النصوص الاسلامية

أ.م. د أحمد عبد الرضا محمد الحسني
جامعة بغداد / كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع

(مُلَخَّصُ البَحث)

تناولت الدراسة عدة محاور منها: المجتمع المسلم تطرف أم اعتدال؟ والنص الإسلامي، واقفة على جملة من النصوص والمفاهيم التي عبثت بها يد الوضع والتدليس، مما شكلت ولا زالت تشكل تهديدا لبنية المجتمعات المسلمة التي قامت صيرورتها وقيمومتها على المحبة والإخوة الإنسانية منشأ فطرة الله التي فطر الناس عليها. ان مثل مفاهيم التطرف والتكفير التي اسست لها بعض من هذه النصوص هدفت تقديم المسلمين على أنهم دعاة للشر والعدوان وعدم قبول الآخر أيا كان عرقه و انتماؤه ،ولذا حاولت الدراسة الوقوف على اتجاهات التطرف والاعتدال والنصوص المؤسسة لهما ، ومعرفة ايهما أوسع مساحة وأصالة في المبتنيات العقدية والإنسانية، وقد اعتمدت الدراسة المنهجية التحليلية القائمة على الاتجاه الانثروبولوجي القيمي الذي يتناول الإنسان على وفق وجوديه المادي والروحي هذين المكونين اللذين يشكلان هويته الحقيقية والاصلية.

كلمات مفتاحية: المجتمع، الاعتدال ، التطرف، النصوص الاسلامية

المقدمة:

منذ امد بعيد والامة الاسلامية تعاني من تصدع داخلي يفل القوى و يفكك العرى، ويسهم في تقطع الاوصال و تشتيت الاولويات و الاهداف وذروة الخطر في ذلك ان الامة اصيبت ضعف الاحساس بهويتها، و انتماءها، و وحدة همومها وقضاياها في ظل ارتفاع وتيرة الحس المذهبي او العرقي وما رافق ذلك و يرافقه من الانشغال بصغائر الامور و هوامش الهموم على حساب القضايا المصيرية للامة، ومما لا ريب فيه ان اسباب هذا التفكك عديدة منها ما هو داخلي و منها ما هو خارجي. وربما اسهم علم الكلام الاسلامي بوضعيته التاريخية و الراهنة المبنية على فقه الشقاق ومبدأ تسجيل النقاط و المملوكة لمنطق الفرقة الناجية في التأسيس لفقه النزاع و التدابر والتنظير لحضارة انكار الاخر والغاءه، وهكذا ضعفت المناعة الداخلية في الامة وغدت في معرض السقوط امام ادنى اهتزاز خارجي، فهل من سبيل للخروج من هذا النفق المظلم والواقع المؤلم؟ الجواب بالإيجاب على الرغم من

الصعوبات فالمجتمع، المسلم يملك من الضوابط الدينية والقواعد الاسلامية ما يكفل ترميم التصدع المذكور ويعيد تجسير العلاقة المفتقدة ، شرط ان يتم تفعيل هذه الضوابط و تلك القواعد و تربية الامة عليها، كما ان في المجتمع من الفقهاء الكبار من يمكن التعويل على فتاواهم في سبيل اعادة اطلاق فقه الوفاق بدلا من فقه الشقاق واستباحة الاخر.

ان القاعدة الاساسية التي يبني الاسلام العلاقة الداخلية بين ابناءه على ضوئها بما يكفل وحدتهم و تكاملهم و يضمن تحقيق الامن الاجتماعي وازالة كل عوامل التوتر والتطرف، هي قاعدة الاخوة الايمانية بما تعنيه .ان المسلم ليس مجرد صديق او رفيق او نظير للمسلم الاخر بل هو قبل ذلك اخوه كما في الآية ١٠ من سورة الحجرات (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)، وكما وصفها الامام علي في عهده الى عامله على مصر مالك الاشتر فهو يوصيه في كيفية التعامل والنظر الى التنوع الديني والعرقي ويقول له (ان الناس صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق)، والاخوة ليست مجرد شعار يرفع او نشيد يتلى ، انما نظام متكامل يتألف من مجموعة من الحقوق والواجبات لا بد من ترجمتها عمليا من خلال التكافل و التعاون بين الاخوة، والحماية والنصرة لبعضهم البعض و دفع الاذى و كف اللسان عن الاخر الى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي اكدت عليها النصوص القرآنية والنبوية. وعلى الرغم من ان عنوان الاخوة يبدو واضحا غير ملتبس من الناحية المفهومية لكنه من الناحية المصداقية تعرض لعملية منع و تقزيم، وغدت كل طائفة ترى الاخوة الايمانية بكل مستلزماتها حكرا على اتباعها و وقفا على جماعتها ، فالسني يرى ان الاخوة بينه وبين السني، والشيعي كذلك وانطلاقا من ذلك فلا يرى احدهما حقا للأخر عليه و لا يرعى له حرمة و يغدو مفاد قوله تعالى ((أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)) الوارد في النهي عن الغيبة مساويا – لدى السنة – لقولك: أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه السني!)) و لدى الشيعة مساويا لقولك: ((أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه الشيعي!)) ضاربين عرض الجدار كل النصوص الاسلامية التي تؤكد ان الاسلام يظلل الجميع وان الايمان او الاخوة في كلام الله ورسوله لا يراد بها معانيها الطائفية الضيقة.

ان هذا البحث سيتناول تحليل المفاهيم الواردة فيه و التي تمس المجتمع المسلم ما بين التطرف و الاعتدال و كذلك الوقوف مع النصوص المؤسسة لذلك

التوجه ومعرفة ايهما اوسع مساحة و اصالة في العقيدة و الفكر الاسلامي في تهذيب وتشذيب المجتمع المسلم.

اولا: موضوع الدراسة :

ان الاسلام دين الاعتدال والوسطية ويرفض الافراط والتفريط في كل شيء بما في ذلك عبادة الله سبحانه وتعالى، فاذا كان الاستغراق في العبادة يتم عل حساب قيام الانسان بمسؤولياته الاجتماعية او غيرها فهو مرفوض و اذا كان مؤديا الى الترهب و التبتل و الانقطاع عن الدنيا و ملذاتها من طعام او شراب او زواج او نحوه فهو مذموم و مبغوض بنص القران و السنة و لعل المشكلة الاخطر ان مفهوم العبادة تعرض لعملية مسخ و تشويه و فسر تفسيرا خاطئا جعله مرادفا لمجموعة من الطقوس والشعائر و الشكليات الجوفاء الخالية من الروح و الفارغة من المضامين والمقاصد، وتعرض لعملية تقزيم فاختصرت العبادة بالصلاة والصوم والحج وعلى الرغم من اهمية هذه العبادات لكن مفهوم العبادة اعمق واوسع منها بكثير فهي بمعناها الصحيح تشمل كل افعال و اقوال الانسان و حركته الهادفة في هذه الحياة . فالعبادة التي يريدها الاسلام هي العبادة الواعية التي تفتح قلب الانسان على اخيه الانسان لا عبادة المتطرفين و المتشددين التي لا تنفذ الى اعماق القلوب لتطهيرها من الغل و الحقد والغرور ان الدراسة و قفت عل جزء من النصوص المؤسسة و التي تبنتها الايادي السيئة المريدة بالمسلمين الفرقة و الشتات و التي انتشرت كالنار في الهشيم على يد وعاظ السلاطين على الرغم من لممها و اضحت على مر الزمن و الايام و اريد لها ان تكون من المسلمات على الرغم من انها لا تشكل الا الزبد في ذلك التراث الضخم و الذي يدعو الى الاعتدال، خصوصا ان المشتركات التي تجمع المسلمين تحتل المساحة الاوسع و قد قدرها جملة من علماء المسلمين بأكثر من ٩٨% وهي كفيلة بإعادة ذلك المجتمع الى صراطه الذي فيه سعادة الانسانية و طريق خلاصها .وجاءت الدراسة للإجابة عن عدة تساؤلات تشغل بال النخب المجتمعية، بل وتمتد في اعماق قواعد المجتمع الواسعة والعريضة:- فهل بالإمكان تنقية الموروث الاسلامي من الدرن الذي علق به من موضوعات ومكذوبات لعبت السياسة السابقة واللاحقة دورا كبيرا ومؤسسا لهذه الفتنة والفرقة، فالسابقة اسست ،واللاحقة فسرت وامضت ؟ مع ماهية الميكانزمات الواجب اتباعها للعودة بالمجتمع الاسلامي الى محمديته الناصعة البيضاء ؟.

ثانيا:- منهجية الدراسة :

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي للنصوص النبوية التي تضمنتها كتب الحديث والرواية الاسلامية عند الفريقين من السنة والشيعة واقفة على بعض من الروايات التي دست وادخلت في ذلك التراث وباعتراف جملة من كبار العلماء والرواة من الفريقين وكان حديث الفرقة الناجية هو محور التحليل المنهجي لدراسة النص المؤسس.

ثالثا: المجتمع المسلم تطرف ام اعتدال؟.

قد يتبادر الى ذهن القارئ والباحث عند سماعه هذا المفهوم، انه سيتعامل مع جماعة تعيش التشريعات و السنن السماوية، غير ان هذا التوقع ليس في محله فمجتمعاتنا المسلمة اليوم هي منغمسة في كنف النظم الليبرالية والعلمانية واشباهها والتي تستمد قوانينها ومبادئها من الوضعية والمترياليـة او تحاول تقليدها وعليه سيفسر هذا المبحث ويجيب على جملة من التساؤلات لرفع الشبهة و التوهم المحيطة بالمفهوم ، فهل المجتمعات المسلمة تعيش قوانين مستمدة من مصادر التشريع الرئيسة هي القران و السنة ؟ وهل ما تقوم به بعض الجماعات التي تدعي الاسلام هو ما تقرره الشريعة ؟ وهل النصوص التي تعتمدها هي من منابع العقيدة الاصيلة ؟ ام هي من المندسات والموضوعات ؟ وهل الاسلام يمثل الوسطية ام يتبنى ذلك التطرف والغلو؟ وهل بالإمكان اطلاق صفة المجتمع الديني على مجتمعاتنا؟ و هل هناك فرق بين المدنية و الدين ؟ ومن انتج الاخر؟ واين تكمن العلة في كيفية المعالجات التي سترتقي بالنظام والمذهب الاجتماعي للاجتماع الاسلامي؟.

في اللغة ان المجتمع وحسب مجموعة من التعريفات، جاء من الجمع والجمع هم الجماعة من الناس والجماع تطلق على القليل والكثير[١] (الفيروز ابادي ، القاموس المحيط، مادة جمع). وما تجمع هو ما انضم بعضه الى بعض و اجتمع القوم تجمعوا و جاء القوم جميعا اي مجتمعين و المجتمع موضع الاجتماع من الناس و المجتمع موضع الاجتماع من الناس و المجتمع اسم مكان و يطلق على جمع من الناس قلوا او كثروا[٢].

وفي الاصطلاح: انه نسق مكون العرف المنوع والاجراءات المرسومة ومن السلطة و المعونة المتبادلة في كثير من المجتمعات والاقسام و شتى وجه ضبط السلوك الانساني و الحريات[٣](نادي عمر الجولاني، التعارف ، بيروت ، ١٩٨٢، ص٣٠٤٢٧٧)، و هو جماعة من الناس تعمر مكانا لأول مرة و تشترك في

الاحوال الخاصة[٤]، وعرفه اخرون و هو مجموعة من الافراد يعيشون في منطقة متصلة الاجزاء او يشتركون في تقاليد و نظم معيشية و تكون لهم اهداف ومصالح مشتركة تجعلهم يقومون بالوان مختلفة من التفكير و السلوك الذي يغلب عليه الطابع التعاوني[٥] (خليل ابو العينين، القاهرة ، ١٩٨٦، ص٢٧٧)، و قد اجمله البعض بانه الوجود المجموعي من الناس باعتبار ما بينهم من علاقات و صلات قائمة على اساس مجموعة من الافكار و المبادئ المسندة بمجموعة من القوى والقابليات و هو هذا الذي يعبر عنه القران الكريم بالأمة[٦] (منذر الحكيم ، دار التعارف، بيروت ، ٢٠١١، ص٦٥).

ان من افضل التشبيهات الجامعة هو تشبيه المجتمع بالجسم البشري ، مثلما ان الجسم يتألف من مجموعة من الاعضاء و الجوارح ، و ان لكل عضو وظيفته كذلك يكون المجتمع حيث يتألف من افراد يقوم كل منهم بوظيفته التي يحتاجها المجتمع بما يمتهنونه من الحرف و الاعمال . ان لأعضاء الجسم مراكز و مقامات مختلفة، و هكذا المجتمع، و الجسم قد يكون سليما، و قد يصيبه المرض ، كذلك المجتمع اذا كان حيا سليما تسوده الروح الاجتماعية ، و قد جاء هذا التشبيه عن الرسول الاكرم (ص) ((مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له اثر الجسد بالسهر و الحمى)). فعلى الرغم من هذا التشابه في وجوه معينة ، الا ان هناك ثمة وجوه يختلف فيها حكم احدهما عن الاخر، فالأفراد في المجتمع لا يقعون تحت هيمنة روح المجتمع كما في تلك العلاقة الرابطة بين الروح و الجسم الانساني، و باختصار فان الوظائف في الجسد قد قسمت تقسيما طبيعيا و وضعت لها الحدود و الدرجات ، و تعينت مواضع الاعضاء بصورة طبيعية اما في المجتمع ، فان هذا قد اوكل الى البشر انفسهم يقسمون العمل فيما بينهم كل حسب درجته و لياقته و ميدان العمل واسع فسيح، كل الاعضاء افراد من البشر، لكل عقله، و لكل ارادته و حريته في الاختيار و لكل شخصيته، غير ان المبادئ التي تحكم المجتمعات الانسانية تتوافق و صبغة النظم الحاكمة التي غالبا ما تدعي المثل و الفضيلة في نظريتها التي يناقضها الواقع و الميدان ، و ما جرته على شعوبها من الام و ويلات ، وهذا ما سطره التاريخ الانساني في حاضره و ماضيه . و لذلك نرى ان الانسان و الجماعة دائما ما يبحثون عن نظام يحقق لهم الرفاهية و السعادة و لذلك تجد ذلك الكم الهائل من الايديولوجيات التي حكمت الانسانية و كانت تجربتها الفشل و الخسران في الارتقاء بالإنسان و الجماعة، و لازال الانسان يبحث ويجد في البحث للوصول الى مبتغاه،

فكانت رسالة السماء و من البذرة الاولى للبشرية مواكبة لرعاية الانسان و حمايته و الارتقاء به متشبثا بالسنن الوضعية التي تتلاعب فيها عواطفه و اهواءه، فكانت مجتمعاتنا و التي تحمل ذلك المشعل الوهاج قد زاغت و انحرفت من المبادئ نتيجة الحرب التي شنت على ذلك الدين من تحديات خارجية مستعملة كل اسلحتها العسكرية و الامنية و الاقتصادية و السياسية و الفكرية و الاعلامية في محاولة لتشويهه و القضاء على كل عناصر القوة في الاسلام خوفا من نهوضه مما قد يهدد الحضارة المادية الغربية وهذا ما يصرحون هم انفسهم به.

وكذلك تحديات الداخل الاسلامي التي تتحرك على ارضية واقع منحرف متناحر تفتك به الانقسامات والخلافات المذهبية و العرقية في ظل انعدام ادنى شروط المناعة الداخلية ، ومن اخطر هذه التحديات تنامي الافكار التكفيرية عند الكثير من المسلمين مما انعكس بالسلب على الصورة المشرقة التي ارادها الاسلام لمجتمعه، و يتم تسويق الاسلام بوصفه (فوبيا) لتحقيق اغراض و اطماع معينة .(ومفهوم ومصطلح الاسلام فوبيا لم يكن وليد لحظته ،بل ان امتداداته بعيدة ، ففي كتاب حياة محمد نبي الله للفرنسي الفونس اتيان المطبوع سنة ١٩٣٧ في باريس، يشير الى ان هذا المصطلح استخدمه الفرنسيون عند احتلالهم الجزائر للإشارة الى المسلمين ونبيهم).

التطرف الديني :

اذا كانت السطحية في فهم الدين مذمومة و مبغوضة فان التعمق في الدين هو الاخر مذموم و مكروه، وكما ان السطحية تقوم الى التكفير او على الاقل تساهم في خلق مناخاته ، فالتعمق كذلك ، قال رسول الله (ص) ((اياكم و التعمق في الدين .....))، الا ان هذا الكلام يدعو الى التساؤل كيف يكون التعمق في الدين مذموما ؟! و ما المقصود بالتعمق في الدين ؟ هل المراد به التعمق في فهمه أو التشدد في تطبيقه ؟ قال ابن منظور[٧] (ابن منظور ،العلمي ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ج ١٠ ، ص٢٧١): المتعمق : المبالغ في الامر المتشدد فيه الذي يطلب اقصى غايته)) و نحوه ما ذكره ابن الاثير في نهايته .

وان المتتبع لموارد استعمال كلمة التعمق في الاحاديث و النصوص الاسلامية لا يخالجه ادنى شك و ان المراد به ليس التعمق في فهم الدين و بذل الجهد لاكتشاف ابعاده و مقاصده ، فان هذا المعنى لا يمكن ان يكون مذموما في الشريعة الاسلامية ، كيف و قد حث القران عليه و رغب فيه من خلال مدحه للراسخين في العلم ، و دعوته للتفقه في الدين و التدبر في آيات القران الكريم و

انما المقصود بالتعمق المنهي عنه : المبالغ و التشدد في الاخذ بتعاليم الاسلام و حدوده و احكامه و سنته بما يخرج المرء عن جادة الاعتدال و يوقعه في الافراط او التفريط ، و هذا المعنى هو ما يشهد به سياق الاحاديث ، ففي تتمة الحديث المذكور اعلاه علل النبي(ص) نهيه عن التعمق في الدين بالقول (..... فان الله تعالى جعله سهلا فخذوا منه ما تطيقون فان الله يحب ما دام من عمل صالح و ان كان يسيرا)[٨] ([١] المتقي الهندي ، الرسالة ، بيروت، ١٩٨٥، ج٣، رقم الحديث ٥٣٤٨)ان التعمق و التشدد في الاخذ بإحكام الاسلام يقود الى الافراط او التفريط و يوقع في التطرف الديني الذي يعد من اخطر انحاء التطرف و هذا ما يتضح من قول الامام علي (ع) (لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا)[٩](محمد البصير ، الآداب، النجف،١٩٦١،ص٥) ان للمتعمقين و المتطرفين دينيا عدة مواصفات :

١- **فقد الميزان** : فالشخص المتعمق يفتقر الى الميزان الصحيح الذي يقيس به الامور، و يحدد به ما ينبغي اتخاذه من المواقف و ما لا ينبغي ، و لذا من الطبيعي ان يخبط خبط عشواء ، فيتخذ الموقف و نقيضه ، ويقول الكلام و ضده بسبب سطحيته و جهله بالتشريع و مقاصده و عدم احاطته بالدين من جميع جوانبه .

٢- **كثرة اللجاج:** من علامات التشدد و التطرف الديني كثرة اللجاج و المخاصمة فترى المتطرف لا يركن للحجة و ان كانت دامغة ، و يتنكر للحقيقة و ان كانت ساطعة جلية ، يكثر من الاسئلة في غير محلها ، و يجادل في الواضحات ويطلب على البديهيات حجة ودليلا ، و انطلاقا من هذا اوصى الامام علي (ع) ابن عباس عندما ارسله لمحاورة الخوارج ان يخاصمهم بالسنة لا بالقران[١٠] فان القران حمال ذو وجوه يركز على العموميات و الكليات، مما يفتح مجالا للمناورة والمجادلة، بينما السنة الفعلية و القولية اكثر تفصيلا و تحديدا. و تذكرنا لجاجة بني اسرائيل الذين امروا ان يذبحوا بقرة وكان بإمكانهم امتثال امر الله بذبح اي بقرة تنالها ايديهم ، لكنهم بفعل عنادهم و لجاجتهم اكثروا من الاسئلة التعسفية ، فشدد الله عليهم لما شددوا على انفسهم ، حتى اشتروا البقرة المطلوبة بالأثمان الغالية فذبحوها و ما كادوا يفعلون و ان قوله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)[١١].

٣- **التضييق على النفس في امر العبادة** او غيرها سيقود في نهاية المطاف الى كراهة المتشدد نفسه للعبادة و فراره منها لأنها تشكل قيدا ثقيلا ضاغطا عليه لن يتحمله على الدوام كما ان ذلك يقود بطبيعة الحال الى كراهة الاخر و فراره من

الاسلام وتعاليمه خصوصا اذا كان من الناشئة و الجيل الجديد، وفي الحديث عن رسول الله (ص) مشيرا الى هذه النتيجة للتشدد يقول (ص) (ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق و لا تبغضوا الى انفسكم عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع و لا ظهرا ابقى[١٢] وفي حديث اخر (ولا تكرهوا عبادة الله الى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبت)[١٣].(الكليني، دار الكتب الاسلامية، ايران ١٣٨٨هـ ، ج٢، ص٨١)

٤- **الحماقة و العجلة:** ومما وصف الامام علي به المتطرفين قوله (طمع النزق) و النزق هو الخفة و العجلة الحمق، و من الطبيعي ان خفيف العقل محكوم بالعجلة و الارتجال و العجلة مصدر رئيس من مصادر الخطأ في شخصية الانسان قال الامام علي (من ركب العجل ادرك الزلل) و قال (المعجول مخطئ و ان ملك و المتأني مصيب و ان هلك)[١٤].(حسين الخشن دار الهادي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٦.)

٥- **اتباع الهوى:** ان الهوى يعمي و يصم لذلك فانه يردي و يهلك ، وقد حدثنا الله عن بني اسرائيل انه (كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ)[١٥] و لان مركب الهوى من اخطر المراكب ، نجد ان الله سبحانه يحذر نبيه داوود (ع) من ركوبه (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)[١٦]

٦- **تكفير الاخر** لا يقتصر تشدد المتطرف على نفسه ، بل انه يتشدد مع الاخرين و يقسو في حكمه عليهم، و ربما اخرجهم عن الدين و استباح دماءهم و اعراضهم و اموالهم ، و هذا ما حصل مع فرقة الخوارج و سواها من الفرق و الحركات المتشددة بما في ذلك بعض الحركات المعاصرة التي لا تتورع عن الافتاء بكفر من خالفها في الاعتقاد، بل وهدر دمه، مخالفة بذلك كل القيم و التعاليم الدينية القطعية الناهية عن تكفير المسلمين و الخوض في دماءهم .

المسلم و الظنون :

غير خفي ان تاريخنا الاسلامي و كذا واقعنا المعاصر مليئان بالماسي والمظالم التي اشعلت العصبية المذهبية، غذاءها سوء الظن بالأخر فكم من فتنة ايقظها سوء الظن و كم من دم سفك و اهدر بفتاوى لو فتشت عن خلفيتها لو جدتها تنطق من حمل الاخر على السوء، وكم من فرقة او جماعة كفرتها وضللتها العقليات المتخلفة المشبعة بسوء الظن بالأخر .

ان التكفيريين في الغالب ينظرون الى الاخر بمنظار قاتم و عدسة سوداء يتحكم بها سوء الظن، و لو انهم شاهدوا انسانا مسلما على غير مذهبهم يؤدي فعلا عباديا معينا له محمل صحيح و مقبول في دين الله ، و له ايضا محمل فاسد كالسجود امام ضريح ولي من الاولياء يحتمل ان يكون سجودا لله او ان يكون سجودا لهذا الولي. فانهم يسارعون الى توجيه الاتهام اليه و حمله على محل الفساد فيكفرونه و يرمونه الشرك و الالحاد و اذا رأوه يقوم بعمل يحتمل الحلية و يحتمل الحرمة كمن يتناول الطعام او الماء في شهر رمضان و يحتمل ان يكون متعمدا او معذورا في ذلك لمرض او سفر فانهم يحملونه على الاسوأ و يحكمون بعصيانه و فسقه، و اذا تفوه بكلمة تحتمل معنى صحيحا و اخر باطلا حاكموه على اساس المعنى الباطل ضاربين بذلك كل التعاليم الاسلامية الداعية الى حسن الظن بالأخر و حمله على الاحسن و تصديق قوله و اخذه بالظواهر دون النوايا و السرائر التي لا يعلمها الا الله سبحانه و محاولة التماس عذر له عملا بقول رسول الله (ص) (اطلب لأخيك عذرا فان لم تجد له عذرا فالتمس له عذرا)[١٧] (المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٩٨٣ ج١٠، ص١٠٠.) و عن الامام علي (ع) (ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك منه ما يقليك ، ولا تظن بكلمة خرجت من اخيك سوءا و انت تجد لها في الخير محملا)[١٨] (الحر العاملي، احياء التراث ، قم ١٤١٤هـ ، ج١٢ ، ص٣٠٢.) و في الخبر ان احدهم قال للنبي الاكرم (يا محمد اتق الله : فقال ويلك أ و لست اولى اهل الارض ان يتقى ؟! قال ثم ولى الرجل ، فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله الا اضرب عنقه ، فقال : لا ، لعله ان يكون يصلي ، قال خالد : و كم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، فقال رسول الله : (اني لم اؤمر ان انقب عن قلوب الناس و لا اشق بطونهم)[١٩]ان تأكيد الاسلام على حسن الظن بالأخرين و حثه عليه انما هو باعتبار كونه عنصرا هاما من عناصر حماية الفرد و المجتمع و تحصينه من الداخل فان المجتمع الذي يسود بين افراده سوء الظن و يفقد بعضهم الثقة بالبعض الاخر هو مجتمع متفكك و متصدع من داخله ، و اذا كان كذلك فهو محكوم بالانهيار و السقوط أمام أدنى هزة داخلية أو خارجية .

و بعبارة اخرى ان الاسلام معني بحفظ الامن الاجتماعي للامة كما هو معني بحفظ امنها الاخلاقي والسياسي و الاقتصادي والصحي ، وحفظ الامن الاجتماعي يتحرك على خطين :

الخط الايجابي: المتمثل بالدعوة الى شد اواصر الامة و التأكيد على ما يؤدي الى ترابطها و تواصلها و تعاونها ، و من هنا جاءت الوصايا و التعاليم الامرة بصلة الرحم والتزاور و التعاون على البر و التقوى و عيادة المرضى و افشاء السلام ولين الكلام واصلاح ذات البين و حسن الظن بالأخرين.

والخط السلبي : و يتمثل بمحاربة كل ما من شأنه قطع الاواصر و فك عرى الوحدة ، ومن هنا جاء تحريم الغيبة والنميمة و الوقيعة بين الناس و التجسس عليهم و سوء الظن بهم . ويعد الاخير من اقوى العوامل و الاسباب المساهمة في تشتيت الامة و تمزيق وحدتها وتفريق كلمتها، ولهذا شدد الاسلام النكير عليها ، حتى جاء في الحديث ((لا ايمان مع سوء الظن))[٢٠] (الواسطي ، دار الحديث ، قم ١٣٧١ هـ ص٥٣٦.) و في كلمة اخرى لعلي (ع) (اياك ان تسئ الظن فان سوء الظن يفسد العبادة و يعظم الوزر)[٢١] . وقد قال تعالى وهو جل شأنه يعدد لنا بعض العناصر التي تساهم في تفكيك الامة و تمزيقها(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)[٢٢]و يلاحظ ان الآية الكريمة نهت عن اجتناب الظن على الرغم من ان بعضه و ليس كله اثم و ظلم ، و ما ذلك الا لخطورة اتباع الظن على امن المجتمع لا سيما في ظل عدم تمييز الظن المصيب من الظن الخاطئ . بل وصلت الحساسية الاسلامية من ظن السوء الى درجة اعتباره كذبا مع انه قد لا يكون كذلك ، اذ ربما كان الظن مصيبا ، قال سبحانه في قضية الافك (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين)[٢٣] ، و قال النبي (ص) (اياكم و الظن فان الظن اكذب الكذب)[٢٤] (البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨١، ج٣، ص١٨٨.) .

ان اسوأ الظن يؤجج نار العصبية و يثير الاحقاد و البغضاء و يقع صاحبه بالتقييم الخاطئ و من جوامع كلام الامام علي (ع) في هذا الشأن (سوء الظن يفسد الامور و يبعث على الشرور)[٢٥] (الواسطي ، ص ٥٢٧) و في بعض ادعية الامام السجاد في مفاتيح الجنان في مناجاة المطيعين لله الملحقة بالصحيفة السجادية (واثبت الحق في ضمائرنا فان الشكوك و الظنون لواقح الفتن و مكدرة لصفو المنائح والمنن).

ولا يقف الامر في ظن السوء عند كونه من موجبات تصدع الامن الاجتماعي والمس بالمناعة الاخلاقية للامة ، بل يتجاوز ذلك ليشكل واحدا من اكبر مصادر الخطأ لدى الشخصية الانسانية على مستوى التفكير و العاطفة و السلوك ، وذلك لان الظن و لو لم يكن منطلقا من خلفية سيئة لا يمثل حجة عقلية او شرعية او

قاعدة منطقية يمكن اعتمادها منهجا في التفكير و التخطيط و دراسة الامور و اتخاذ المواقف و اصدار الاحكام و تحديد المسارات ، قال تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)[٢٦] و قال ايضا في ذم المشركين الذين يجعلون لله شركاء و يسمون الملائكة تسمية الانثى (وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)[٢٧].

ان محاربة التطرف و التشدد و التكفير لا يتم الا اذا ربي المجتمع على ثقافة القران و اخلاق رسول الله (ص) الذي لم يمتدحه الله بمثل ما امتدحه بحسن الخلق، قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٢٨] و هذا ما لوحظ في هذا المبحث اذ ان الاعتدال و التسامح و الفضائل هي السمات البارزة و الطاغية في مسيرة الاسلام وتشريعاته لا كما يثيره اعداء الاسلام من تضادات و تناقضات مستغلين بعض النصوص المختلقة و المدسوسة في التراث الاسلامي لتقديم صورة مشوهة عن ذلك التشريع الاجتماعي الرائع فالعلة ليست بالشريعة وانما في التطبيق و ادوات التطبيق والذي يشكل المجتمع بؤرتها، و لذا يجب التمييز بين الاسلام كنظام حياتي و بين افراده و في كيفية تطبيقاته .

رابعا : النص الاسلامي:

النص في اللغة جاءت من نص الشيء اي رفعه ونص الحديث الى فلان رفعه اليه وكل شيء منتهاه[٢٩](محمد بن ابي بكر الرازي ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ ،ص ٦٦٢)، والنصوص المقدسة التي تشمل الخطاب القرآني والسنة النبوية وما تحوي من احاديث وتقارير وردت عن النبي الاكرم محمد صلى الله عليه واله وسلم ، فهما المصدران الرئيسان والاساسيان للتشريع وعليهما تدور رحى الشريعة الاسلامية*، غير ان هذه النصوص وبفعل السياسة تعرض قسم منها الى عبث العابثين ما تسبب بظهور خلافات تشعبت منها فرق ومذاهب متعددة استغلتها يد السياسة في ضرب وحدة الاسلام والمسلمين بالرغم من ضالة الخلافات وضيقها اذ ان المشتركات التي تجمع المسلمين اكثر بكثير مما يفرقهم ومع ذلك فهذه الخلافات والتي امتدت من السلف الى الخلف قد جرأت اعداء الاسلام على استغلال هذه الخلافات فبعد ان دق اسفين بين الاخوة في الدين امتد ليشعل الفتنة بين قرناءنا في الانسانية وذلك من خلال افتعال صراعات هدفها اضعاف الاسلام وما يحمل من منظومة قيمية قادرة اذا ما طبقت على انتشال الانسانية من براثن الجهل والفقر والعمى وتحقيق العدالة الاجتماعية حلم الانبياء والمحرومين .

ان التعاليم والاحكام الاسلامية ، سواء التي يتعلق منها بالحقوق والاجتماع والحدود والروابط بين الناس او التي تتعلق بأمور اخرى مبنية على مجموعة من الحقائق لو اننا تعرفنا عليه طبق اصولها وموازينها العلمية الخاصة لكان ادراكنا لمفاهيم التعاليم الاسلامية، التي اتتنا على لسان الوحي ولمعانيها ومراميها افضل واعمق ، لقد وصل الينا من القران والسنة الكثير من الحكم والتعاليم الاخلاقية وقد كانت هذه دائما في متناول الجميع ولكن ترى هل كان الجميع قادرين على فتح مغاليق تلك الحكم والتعاليم والوصول الى اهدافها بغير ان يصيبهم الانحراف؟.

ما لم يكن المرء على معرفة تامة بالأسس العلمية الاخلاقية والنفسية، ان يكون قادرا على ادراك روح هذه الحكم الاخلاقية التي تبدو بسيطة للوهلة الاولى، بل ان القيم الحقيقية لتلك الحكم السماوية وعلو منزلتها لا تتبين بصورة اوضح واجلى ما لم يكن المرء على معرفة بمختلف النظم الاخلاقية التي ظهرت في العالم، والتي تتباين مع بعضها من حيث الاهداف والاصول تباينا تاما، فمثلا في القران الكريم وفي كلمات الرسول الاكرم وكذلك مع اقوال السلف الصالح ورد الكثير عن التوحيد واسماء الله وصفاته ان الذين صرفوا سنين طوالا من اعمارهم في دراسة علم التوحيد والمعارف الالهية ، يعلمون انهم يصادفون احيانا جملا في القران او في نهج البلاغة وغيرها يموج تحتها بحر من المعلومات، بينما نجد ان هذه الجمل نفسها تسوق بعض اهل الحديث واخرين الى التشبيه والالحاد والتكفير، فلماذا ؟ لان مفتاح الوحي العلم، وان ما ينزل بلسان الوحي بسيط وعام الفائدة ولكنه في الوقت نفسه عصارة لحقائق لا يمكن ادراكها الا بالعلم كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم يحث الناس في حجة الوداع على ان يعوا ما سمعوه منه ويحفظوه ليوصلوه الى الاجيال التالية (رب حامل فقه الى من هو افقه منه)[٣٠] (عز الدين بحر العلوم ، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٨٠، ص ٧٦.)اي ان الافقه اقدر على الفهم والتحليل وادراك روح القول ومعناه ومفهومه، وذلك لأنه اعلم ، فهو اقدر على فهم الدين على ضوء العلم، ان سر عظمة الدين الاسلامي والجانب المعجز فيه هو ان لتعاليمه افاقا واسعة وكلما اضاء العلم جانبا منه ازداد تلألؤا ووضوحا بغير ان ينقص منه ذرة واحدة في الامور المعنوية التي تتعلق بالسيرة والسلوك ، استطاع بعضهم ان يصل الى امرار بعض الاقوال الواردة بهذا الخصوص يقول ابن ابي الحديد ان عصارة ما قاله اصحاب السير والسلوك ، قاله الامام علي عليه السلام، في بضع كلمات تبدا بعبارة (قد احيا عقله) تلك الكلمات القليلة الجامعة لمعاني عظيمة [٣١] (ابن ابي الحديد المعتزل ، ج١ ، دار المعارف ، بيروت ،

١٩٨٢ ، ص٨٢.)، وعليه فان العلم مفتاح الدين وان افاق المعارف الاسلامية وتعاليم الاسلام شملت شؤون الحياة الانسانية كافة ،ولا شك في اننا اذا كنا عارفين بالأصول العلمية المرتبطة باي قسم من الاقسام لاستطعنا ان نحظى بفيض اكثر من الإلهامان الدينية الالهية ، ولو كانت اللغة العربية كافية لفهم معنى الدين لاستطاع العربي الساذج البسيط ان يستفيد من الدين ما يستفيده الحكيم العالم بالإلهيات .

ان اسس حقوق الانسان غير مستثناة من هذا القانون فالحقوق كالأخلاق والالهيات وغيرها تقوم على مجموعة من الاسس الحقيقية فكلما كانت معرفتنا بتلك الاصول والاسس اقوى كنا اقدر على ادراك مفاهيم الدين ومقاصده ولو تعرفنا على تلك المبادئ تعرفا اعمق فلعلنا كنا وضعنا الآيات التي لم تدرج على انها من آيات الاحكام الى جنب آيات الاحكام نلمس المقصود اذن وضع الفلسفات ونحت الحكم ، بل المقصود هو انه طالما كنا نعرف ان التعاليم الاسلامية تشمل جميع شؤون حياة الانسان وطالما اننا ندري استنادا الى عقيدة اهل العدل بان هذه التعاليم ليست خبط عشواء بلا هدف وانما هي حقائق اخذت بالحسبان اهدافا ومرامي سامية ونظمت بموجبها، فأننا لو تعرفنا على تلك الحقائق التي اصبحت بالتدريج وبمرور القرون علوما مدونة ودرسناها عن قرب لكنا اقدر على فهم المقاصد والمفاهيم التي نزلت على لسان الوحي ، في الاسلام تعاليم وقواعد ترتبط بالاجتماع والاقتصاد والحكم والسياسة ولقد ظهر الان انها جميعها تعاليم وقواعد قاطعة ومسلم بحقانيتها وصدقها فكيف يمكن ان يدعي شخص بانه يستطيع بغير ان يطلع جيدا على هذه الاصول والقواعد ، ان يدرك مقاصد الاسلام في هذه الامور حق الادراك وان يقدمها للعالم على انها من ارفع التعاليم الاجتماعية ؟ لو ان شخصا اميا لا علم له بالحكمة الالهية استطاع ان يدرك معاني الآيات واخبار التوحيد والمعارف الالهية مثلما يدركها فيلسوف عارف بالأصول العقلية واسسها فان اميا اخر يكون قادرا على فهم وجهة نظر الاسلام في الامور الاجتماعية مثلما يدركها العالم الاجتماعي.

ان الاسلام دين الفطرة كما ورد في القران الكريم بل اننا من جهة اخرى نرى ان بعض العلماء يقولون : ان جزءا من حقوق الانسان طبيعية وفطرية ولذلك فهي ثابتة ودائمة ، كما انها كلية وعامة وهي مقدمة على جميع الحقوق الموضوعة ، افلا ينبغي التحقيق في هذا الموضوع لمعرفة ما اذا كان هذه صحيحا حقا ؟ فاذا ثبتت صحته فانه ولا شك مقبول عند الاسلام ايضا ، هل صحيح ان الحرية الفردية

والمساواة وحق التملك وحرية العقيدة وحرية التعبير وامثالها تمتد جذورها في اعماق الفطرة وفي طبيعة الانسان؟ وهل هي قواعد وضعتها الطبيعة نفسها وجعلتها الظروف المشتركة ضرورية لجميع المجتمعات وتكاملها وتدخل في نسيج جميع العلائق الانسانية ؟ هل ان حقوق الانسان قد منحت له قبل بلوغ مرحلة الاجتماع الانساني ؟ وهل كانت من حقه في المرحلة الفردية وقبل تكون المجتمع وهل معنى الحياة الاجتماعية هو ان كل فرد بما لديه من رأسمال حقوقه الاولية والذاتية يشترك في المجتمع وكانه يؤسس مع سائر الافراد شركة ، ام ان حقوق كل شخص تتحقق له بعد دخول المجتمع ، وان الحياة الاجتماعية هي منشأ تلك الحقوق ام ان الفرد بذاته لا حق له اطلاقا ، وان ما يقال انه حق الفرد انما هو واجب وان الحقوق جميعها تخص المجتمع كما يرى ذلك بعضهم ؟ ما الذي يشرعن الحقوق ؟ هل هي مصلحة الفرد ام مصلحة المجتمع ؟ والى اي حد يمكن الحفاظ على حقوق الفرد ومتى تصطدم بالموانع ؟ هل المعوق هو التزاحم بين حق فرد وحق فرد اخر فحسب ، ام ان اصطدام حق الفرد بحقوق المجموع يكون عائقا في طريق تحقق حقوق الفرد ؟ هناك العديد من الاسئلة من هذا القبيل وانه لمن حسن الحظ ان في الاسلام تعاليم وقوانين تجيب على كل هذه الاسئلة فلو جمعت تلك القوانين ونظمت بصيغة علمية لاتضحت القيمة السامية للتعاليم الاسلامية ولامكن فتح الطرق المسدودة في الوقت الحاضر .

اذن فالمقصود من (حق العقل في الاجتهاد) ليس القياس او اعمال الراي الذي ابتدع قديما ولا هو التفلسف او صياغة الحكم الذي شاع في عصرنا انما المقصود هو التعرف العلمي على قضايا لم تغفل عنها التعاليم الاسلامية وهذا ما كنا منذ اربعة عشر قرنا ولحد الان نتذوق ثمراته الحلوة والمنجية وتختبرها وهذا وحده احد جوانب اعجاز الدين الاسلامي الحنيف الخالدة:

١-الحق والباطل :

ان من المباحث المهمة في الفكر الانساني بحث الحق والباطل وهو موضوع يرد كثيرا في القران ويمكن بحثه من وجهتين اثنتين:

١-الحق والباطل في عالم التكوين

٢-الحق والباطل في التاريخ والمجتمع

القسم الاول:

الحق والباطل في عالم التكوين: هل ان نظام العالم حق وصحيح ؟.

هل هو نظام قائم كما ينبغي ان يكون؟.

هل كل شيء في هذا النظام الكلي قائم في مكانه ؟ ام ان هذا النظام باطل وان للباطل طريقا الى عالم التكوين؟.

هل فيه ما لا ينبغي ان يكون؟.

هل النظام ككل عبثي ، مما لا هدف له ولا غاية؟.

لقد انقسم العلماء والمفكرون امام هذه المسألة وامثالها الى عدة اقسام ، فمنهم من اعتقد بالرأي الاول ومنهم من رأيه الراي الثاني وامن بعض بكلتا وجهتي النظر كما جعل بعض الفلاسفة (الانثروبولوجيون والسوسيولوجيون) ومنهم اكثر الماديين انطباعا تشاؤميا عن العالم وكانوا يرون ان العالم برمته شيء عبثي، ما كان له ان يكون وهو اعمى واصم ولا غاية له ، وفي مقابل اولئك تأتي المدارس الالهية لتعلن صراحة وبصورة قاطعة ان خلق العالم حق ، وانه هو الخير بعينه ، ويرون ان ليس فيه اي نقص ولا زيادة ولا هو باطل ولا لغو ولا العوبة وانه ليس في عالم الوجود ما لا ينبغي ان يكون "الذي احسن كل شيء خلقه"[٣٢] " قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"[٣٣] .

النظرية الثانية تؤمن ان العالم بما فيه الانسان مركب من الخير والشر فانا نرى الازدواج في العالم، ان فيه الخير والشر والحق والباطل والنقص والكمال، والصحة والمرض ، والحياة والموت ، والنظام والفوضى والظلم والعدل والفساد والصلاح والخراب والعمارة ، اذ لا يمكن ان يكون لكل هذه الامور في العالم اصل واحد ثم يسودها الازدواج ، ان العقيدة الثنوية التي كانت سائدة في فارس تستند الى هذه الفكرة القائلة بان للعالم مبداين: مبدأ الخير والشر، ومبدأ النور والظلمة ، كان هؤلاء يعتقدون ان جنود هذين المبداين او جنود (يزدان) اله الخير وجنود (اهريمن) اله الشر في صراع دائم ولكنهم كانوا يقولون ان جنود الخير والنور سوف يغلبون في اخر الزمان جنود الشر والظلام ، ان جنود الشر والظلام سوف يهزمون ويندحرون ولن يبقى سوى جنود الخير والنور[٣٤](مرتضى مطهري ، دار النشر مدين ، قم ، ٢٠٠٨ / ص٤٧٤.)

ان الحكمة الالهية ترى ان اصالة الوجود للحق ، للخير ، للجمال ، للكمال ، وان الباطل والشر والنقص والقبح تنتهي الى العدم في نهاية المطاف ، لا الى الوجود ، ان الشر بذاته ليس شرا ، ولكنه من حيث كونه منشأ لعدم شيء اخر فهو شر / ان الشرور ضرورات لا بد منها لوجود الخير والحق فهي من لوازم الخير الذاتية التي لا تنفك عنها ولكن لا اصالة لها واذا قورنت بالخير والحق تأتي بمنزلة (ألماهيات) في قبال الوجود بحيث ان تحقق ذلك الوجود يستلزم ان تكون تلك

الظـواهر معـا ، ان المسـالة الرئيسـية هـي مسـالة تحقـق الماهيـة التـي تظهـر بتحقـق الوجـود كتـابع لـه ان الوجـود المطلـق خيـر محـض ليسـه فيـه اي شـر ولا نقـص ولا قـبح وفـي هـذه المرتبـة مـن الوجـود هـي مرتبـة ذات الحـق لا مكـان للماهيـة ولا العـدم ، امـا المخلوقـات الالهيـة التـي منـه اسـتقت وجودهـا فأنهـا ضـعيفة الوجـود اذ ان الفعـل لكـي يكـون فعـلا لابـد ان يتـأخر عـن الفاعـل وبمـا ان الله هـو الفاعـل الاعلـى المطلـق فـان جميـع المخلوقـات هـي افعالـه ولـذلك فهـي ضـعيفة وناقصـة ان مـن لـوازم الفعـل ان تكـون لـه ماهيـة كمـا ان فعـل الفعـل ينـزل عنـه درجـة واحـدة بحيـث ان العـدم فـي الوقـت الـذي لا اصـالة لـه يتسـلل الـى الوجـود حتـى نصـل الـى عـالم الطبيعـة او الناسـوت ، ذلـك العـالم الـذي يـراه الحكمـاء الالهيـون مـن اضـعف عـوالم الوجـود واكثرهـا نقصـا ، هنـا تكـون امـارات ضـعف الوجـود التـي هـي امـارات الماهيـة والعـدم اظهـر واوضـح ، وعليـه فـان الشـر والباطـل ، وفـي الوقـت الـذي لا اصـالة لهمـا فيـه وليسـا مـن حقيقـة الوجـود ، فانهمـا يكونـان مـن اللـوازم التـي لا تنفـك عـن الـدرجات السـفلى مـن الوجـود وعليـه فأننـا اذا نظرنـا الـى نظـام الكـون باعتبـاره وجـودا لا وجـود فـي طريقـه للباطـل والماهيـة والعـدم ، عنـدما ننظـر اليـه مـن الاعلـى نجـده نـورا ولكـن اذا نظرنـا اليـه مـن الاسـفل نـرى الظـل والظـل مـن لـوازم الجسـم وعلـى الـرغم مـن انـه لا اصـالة لـه "فكـل الموجـود هـو نـور" فانـه يظهـر لنـا بسـبب ذلـك الجسـم ان الظـل لا شـيء سـوى انعـدام النـور فـي مكـان محـدود ووجـود النـور فـي اطرافـه[٣٥] ، ان الحكمـة الالهيـة تختصـر كـل شـيء فـي بِسْـمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الـرَّحِيمِ يقـول: ظهـر الوجـود بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيـمِ اي ان الوجـود يظهـر باسـم الله الـرحمن الـرحيم، فمـن منظـور عـال لـيس العـالم سـوى الله ورحمانيتـه ورحيميتـه، ان تصـور هـذا المعنـى لـيس سـهلا ولكنـه دقيـق ولطيـف ولـو اسـتطاع الانسـان ان يـدرك هـذا لاسـتطاع ان يحـل الكثيـر مـن المسـائل ، ان للعـالم مـن هـذا المنظـور وجهـان ، وجـه (منـه) ووجـه (اليـه) فالوجـه الـذي (منـه) هـو رحمانيـة الله والوجـه الـذي (اليـه) هـو رحيميتـه ، وسـائر اسـماء الله تابعـة مـن الدرجـة الثانيـة او الثالثـة ، ان الله جبـار ومنـتقم ايضـا ، ولكـن الاصـالة لرحمانيـة الله ورحيميتـه والصـفات الاخـرى تنشـا مـن هـذه الاسـماء فـي الواقـع بـل ان القهـر نفسـه ناشـئ مـن اللطـف ايضـا فالأصـالة موجـودة فـي اللطـف ليسـت فـي القهـر ، ان المنظـور التوحيـدي لا يمكـن ان يكـون غيـر هـذا، و المنظـور الحقيقـي الفلسـفي لا يختلف عن هذا وكذلك معرفة الوجود لحقيقته ايضا.

الحق والباطل في التاريخ والمجتمع :

السؤال هنا يدور حول خلق الانسان نفسه ، اي كائن هذا ؟ ايسعى للحق؟ ايطلب العدالة؟ ايبحث عن القيم و النور ؟ ام انه على العكس من ذلك كائن شرير، مفسد ، سافك للدماء ، ظالم ؟ ام ان فريقا يؤيد الحق وفريقا يؤيد الباطل والفريقان في صراع مستمر؟.

وقد تناولته عدد من النظريات : واحدة تقول ان الانسان من حيث نوعه كائن شرير ظالم محب للسوء لا يصدر عنه غير القتل والسرقة والغزو والحيلة والكذب فمن طبيعته الشر ، والفساد ، والاستغلال ، والظلم واننا حتى لو شاهدنا في تاريخ الانسان شيئا من الخير والاخلاق والقيم الانسانية فانها امور اضطرارية تضطره الطبيعة اليها احيانا ، ان باطن الانسان يجذبه نحو الشر والسوء، وقد يضطر احيانا لفعل الخير فمثلا عندما واجه الانسان الطبيعة او الحيوانات المفترسة وراى انه اذا لم يضع يده بيد اناس اخرين في اتفاق سلام اضطراري لما استطاع ان يدافع عن نفسه لذلك لم يجدا بدا من ان ينشا حياة اجتماعية تعيش فيها على وفق اسس العدالة السائدة بين الجميع لما في ذلك من منفعة لهم جميعا وعليه فان عاملا خارجيا اجبر الانسان على ان يكون صالحا كالدول الضعيفة التي تضطر امام دولة قوية الى عقد حلف بينها لكي تقي نفسها شر تلك الدولة ، ولو زال ذلك يوما ذلك العدو المشترك لاندلعت الحرب فيما بينهم هم انفسهم اذا ما تكتل قوم الا لكونهم يواجهون ضدا اي اذا لم يكن ذلك الضد لما كان هذا التكتل على ائتلاف ومحبة واذا فقد التكتل ماعدوه انفسهم على نفسه الى قسمين ولو زال احد القسمين لانقسم الاخر الى قسمين كذلك ، وهكذا الامر حتى لا يبقى من ذلك التكتل سوى فردين فيتحاربان ولا يبقى الا الاقوى (وهذه هي الدارونية الاجتماعية المشتقة من نظرتيه في تنازع البقاء والبقاء للاصلح والتي طبقت على الاجتماع البشري الخطأ) لقد اتبع هذه النظرية الكثيرون من الفلاسفة الماديين القدامى واقل منهم من الماديين المحدثين بحيث انهم كانوا ينظرون الى طبيعة الانسان متشائمين بأشد ما يكون التشاؤم انهم يعتقدون ان لإصلاح للإنسان، ولم يؤمنوا بوضع الخطط الاصلاحية للمجتمع الانساني وقالوا انها لا معنى لها ، كذلك الانسان فما دام على الارض فهو شرير ولا يرجى اصلاحه وكان هؤلاء المفكرون يجيزون الانتحار لهذا السبب قائلين انه ما دامت الحياة شرا والانسان شريرا فلا عمل في العالم اصلح من وضع نهاية لشرور الحياة بالموت لكي يستطيع الانسان ان يخلص نفسه من هذا العالم المليء بالشر والفساد وهذا ايضا تجده في فلسفة (ماني) تنحو المنحى نفسه من ان

الحياة شر الا انه كان ثنويا يفصل بين الروح والجسد فكان يقول ان الجسد شر وان الحياة المادية شر وان الروح سجينة في الجسد فمن يموت او ينتحر يتخلص من شر الحياة كالطير اذ يطلق حرا من قفصه وهو على الرغم من اعترافه بوجود حياة اخرى فقد كان يرى هذه الحياة الدنيا شرا مئة بالمئة [٣٦] فاستنادا الى هذا المنظور يكون الانسان كائنا شريرا غريزيا وان الشر جزء من ذاته وطبيعته وانه هكذا كان منذ مجيئه الى هذا العالم وهو ما يزال كذلك ولن يكون غير هذا في المستقبل مهما طال عليه البقاء ولا امل في صلاح مستقبل الانسان ابدا ان في القران بخصوص مسالة خلق الانسان اشارات عديدة فعندما اعلن الله لملائكته قائلا " اني جاعل في الارض خليفة"[٣٧] اظهر الملائكة تشاؤمهم من مصير الانسان وقالوا " أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ " [٣٨] اي انه ليس في طبيعة هذا الكائن سوى الفساد واراقة الدماء فقال الله ردا عليهم " إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[٣٩] اي انه لم يخطئهم فيما ذهبوا اليه بل قال انه يعلم اشياء ابعد مما يعلمون فانتم قد اطلعتم على وجه واحد من وجهي العملة ولكنكم لستم عارفين بحقيقة الكائن الذي انوي خلقه، فمداكم ادنى من ان تعرفوه فهو اعلى وارفع وهكذا نجد ان الملائكة الذين كانوا قد عرفوا جانبا من سفر وجود الانسان وقرأوا نصف صفحاته ابدوا سوء ظنهم التام به فلا عجب اذا لم ير بعض المفكرين سوى الجانب الاسود المظلم من حياة الانسان فاظهروا تشاؤمهم ذاك منه ايضا.

ان النظرية الاخرى التي هي عكس النظرية السابقة تقول ان الطبيعة البشرية خير وحق وصدق وان الانسان كائن مسالم ذو اخلاق ومحب للخير وان الاصالة في طبيعة البشر للنور والعدالة والامانة والتقوى فما الذي يفسد الانسان ؟.يقولون ان لانحراف الانسان علة خارجة عن ذاته وطبيعته فهو يفرض عليه من الخارج . ان المجتمع هو الذي يفسد الانسان وهذا ما يعتقد به (جان جاك روسو) ان يثبت ان الانسان فطري وقبل ان تنشا الحياة الاجتماعية حيث كان يعيش في احضان الطبيعة طليقا من اي قيد اجتماعي كان مخلوقا سويا سليما مسالما ولكن المجتمع هو الذي يلوثه بكل المفاسد والأكدار، ومن هناك قال كلمته المشهورة (يولد الانسان حرا ولكنه مكبل بالأغلال في كل مكان) لذلك فان روسو سيء الظن بالمجتمع وبالحياة الاجتماعية ، وخطته الاصلاحية تتلخص في ضرورة عودة الانسان الى الطبيعة كما انه لا يحسن الظن بالمدنية الحديثة لاعتقاده بانها تبعد الانسان عن الطبيعة كلما ابتعد الانسان عن الطبيعة تفاقم فساده وكلما اقترب من الطبيعة البدائية كان اقرب الى الانسانية والصدق والطهارة ، ان نظرية روسو وهو

متدين في كتابه المذكور، تقترب من وجهة نظرية الفطرة التي طرحها الاسلام والتي تتلخص في كلمة النبي الاكرم "كل مولود يولد على الفطرة، انما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه " [٤٠] .(الطبري، دار التربية، بغداد، ١٩٩١ ، ص١٢٥)

فالأبوان يمثلان عاملان من العوامل الاجتماعية وهذا يعني ان فطرة الانسان سليمة ولكن المجتمع يحرفها والنبي في احد احاديثه بهذا الخصوص يضرب مثلا فيقول : انكم تشقون اذان حيواناتكم فهل اتفق ان ولدت لكم حيوانات مشقوقة الاذان؟ لا بل تولد سليمة، الا ان الانسان هو الذي يشق اذانها، كذلك هو الامر من الناحية الروحية فكل الناس يولدون وهم في حالة قويمة سوية يحبون الخير، ويطلبون الحق اما الانحراف والاعوجاج والكذب والظلم والخيانة والاجرام والفساد فترد على الانسان فيما بعد اذن فهذه النظرية مبنية على حسن الظن بالطبيعة البشرية، بالجنس البشري ، بمصير البشرية وبناءها وترى الاصل في الحق والعدل والصدق وترى الانحراف معلولا لعلة خارجية عرضية او معلولة لعلل تصادفية كما يقول الفلاسفة فحركة الانسان من حيث العلل الطبيعية والباطنية والديناميكية تسير في خط مستقيم سليم وعلى اثر تغييرات عرضية وتصادفية وميكانيكية وخارجية تفرض على الانسان الانحرافات والشرور والاثام، ونظرية اخرى تقول ان الانسان في خضم المجتمع يكون بعضه الى جانب الحق بينما يركض بعض وراء الباطل، الملائكة يلهمون الخير والشياطين يوسوسون بالشر فينقسم البشر قسمين قسم يسير في طريق الحق والخير طريق الايمان والانبياء وقسم اخر يسير في طريق الشيطان ويكفرون بدعوات الانبياء او يكونون من المنافقين ، راية بيضاء واخرى سوداء ، راية الهدى وراية الضلالة ، راية النور وراية الظلام والنتيجة مجتمعة مزيج من الخير والشر من الحق والباطل وبما ان الانسان مزيج من الخير والشر فان هذا الصراع بين الحق والباطل مستمر في ميدان وجود الفرد وفي ميدان حياة المجتمع ، اما لمن سيكون النصر فذاك بحث اخر (اننا بالطبع نعتقد ان بان النصر النهائي للحق والحقيقة للعدل على الظلم للخير على الشر ان النور سوف يغلب الظلام ، وسينتصر الدين على الكفر).

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[٤١] (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)[٤٢].

اما النظرة الاسلامية المستمدة من القران الذي يقول ان مسيرة الكون بما فيه الانسان مبنية على اساس من الحق والحق في القران اصيل ولكنه في الوقت نفسه لا ينكر وجود الباطل الا انه لا يعتبره اصيلا ولهذا فالقران حسن الظن بالتاريخ ويؤكد اصالة الانسان فهو لا يقول ان الانسان مجرد الة واقع في مسار اجباري اعمى لأنه لا يرى الايمان اصيلا ايضا يعتقد الاسلام ان في الانسان نزوعا ذاتيا نحو الصدق والامانة والعدالة وبحسب تعبير القران ان للإنسان نزوعا ذاتيا نحو الصدق والامانة والعدالة وبحسب تعبير القران ان الانسان حنيف يطلب الحق اي ان به ميلا فطريا الى الكمال والخير والحق كما انه في الوقت نفسه يملك الحرية وحق الاختيار وبذلك فهو قد ينحرف عن سيره فيعادي الحق ويظلم ويكذب وهذه يراها القران انحرافات وقتية عابرة وعليه فالباطل من هذا المنظور يعتبر حالة نسبية طارئة ولا تعدو ان تكون ظاهرة طفيلية فما هو منشأ الظلم ؟ منشأه هو ان الظالم بدلا من استخدام تلك الفطرة الملكوتية الربانية فيما يرضي الله يستخدمها لإرضاء ما هو شيطاني وغير الهي، ان الباطل والشر ينبعان من انحراف في خط السير، الحق اصيل والباطل طارئ والحرب سجال دائما بين الاصيل والطارئ ولكن الغلبة لا تكون دائما للباطل والهزيمة دائما للحق ان ما كانت له صفة الاستمرارية والذي رفد مسيرة الحياة والحضارة هو الحق وما كان الباطل الا مظهرا لشرارة إلتمعت ثم خبت وتلاشت هكذا هي فطرة الانسان يقول المفكرون ان الحالة التي تحفظ الحياة تقع بين حدين اي انها حسب تعبيرهم تتراوح بين مزاجين فضغط دم الانسان مثلا ينبغي ان يكون بين حدين صعودا ونزولا فان تجاوزهما هلك ، اما التعادل فيكون بين ذينك الحدين لذلك يسعى الانسان ان يبقى مزاجه في حالة من التعادل ولو قلت نسبة اليوريا او زادت عن حد معين لكانت غير سليمة ان عدد كريات الدم البيض والحمر ينبغي الا يزيد او ينقص عن مقدار معين كذلك نسبة السكر يجب الا تتجاوز حدي الصعود والنزول المسموح بهما كذلك مزاج المجتمع فلو قل ميزان الحق والعدل عن حد معين هلك ذلك المجتمع ولو ظل المجتمع باقيا فمعنى ذلك انه ما يزال يراوح بين حدي الباطل افراطا وتفريطا فاذا كان يقف عند حد الاعتدال فانه مجتمع متقدم ولكنه قد يكون واقفا عند تخوم التمزق من هذا التحدي او ذاك فكيف ترى كانت حال تلك المجتمعات التي يحكي القران عن هلاكها تلك هي المجتمعات التي كان فيها الباطل غالبا واذا غلب الباطل في مجتمع عمت الفوضى في كل مفاصله وأنساقه ونظمه وبالتالي افرز اناس تسيرهم الاهواء والشهوات وهذا ما انعكس على كل شيء ومنها النصوص موضوع مبحثنا فقد امتدت تلك الايادي

الجاهلة من خلال وعاظ السلاطين على النصوص الدينية (النبوية) لتحقيق مآرب اقتضتها ضرورة الانحلال الفكري والقيمي والاخلاقي وبالتالي برزت الى المجتمع عقليات متطرفة صدامية ضيقة تحكم على الاخر دون ان تفهمه وتستعديه دون موجب او مبرر ، وتقوله ما لا يقول وتحمله ما لا يحمل فما المراد بسوء الفهم وما هي مناشئه ومخاطره على التراث النبوي؟ انما نعنيه بسوء الفهم او عجمته عجز الشخص عن ادراك النصوص... دينية او بشرية، وفهمها على حقيقتها ، فضلا عن ادراك ابعادها ومراميها ، ويأتي فهمه مبتورا وحكما منقوصا وخاطئا ، لا الحكم الصحيح على الشيء فرع تصوره وفهمه، وسوء الفهم يعود اما الى حالة السفه الفكري والنظرة السطحية للأمور، او لافتقاد الرؤية المتكاملة والشمولية عن الدين ودوره في الحياة، او لاعوجاج في السليقة والذائقة الفقهية التي تتعامل مع النصوص وتستنطقها، او لعدم الالمام الكافي بالقواعد اللغوية والفقهية والاصولية المعدلة لفهم النصوص واستنطاقها والموازنة بينها وملاحظة عامها وخاصها ، ناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها، مكيها ومدنيها ، وان افتقاد الرؤيا المتكاملة والذوق الفقهي واليات الاستنباط وقواعده معناه افتقاد المنهج السوي في التفكير والاستنباط ، وليس مجرد وقوع الشخص في اجتهادات خاطئة في بعض المفردات ، كما ان لذلك انعكاسات كبيرة واثار خطيرة على الواقع الاسلامي برمته وعلى قدرة الاسلام على استيعاب المستجدات والاستجابة لمتطلبات الحياة المتغيرة ، فعندما يقود الفهم الخاطئ مثلا بعض الناس الى ان يفهموا من قوله تعالى "اوفوا بالعقود" انه مختص بالعقود المتعارفة زمن نزول الاية ولا يشمل العقود المستحدثة كعقود التامين وغيرها وهو ما دفعهم الى محاولة تكلف ارجاع العقود المستحدثة الى العقود الشائعة سابقا ، ان ذلك يعطي انطباعا عن الدين بانه جاء لمعالجة مشاكل ابن الصحراء ويريد للحياة ان ترجع للوراء وتجمد على الماضي ، وهذا مخالف لحقيقة وشمولية الاسلام ، ان هذا يستلزم محاكمة بعض النصوص الورادة والمختلقة والتي كانت سببا حتى يومنا هذا في شق عصا المسلمين علما ان جلهم ان لم يكن كلهم متفقون على ضرورة نقد المتون ، ان اهمالنا لعملية نقد المتون واغفالنا للضوابط المتقدمة او غيرها والاستسلام لحسن الظن بوثاقة الرواة والخضوع التام لكتب الحديث واسباغ وصف الصحيح عليها ، ان ذلك اسس بشكل او باخر لمنطق التطرف وغذاه بكثير من الاحاديث التكفيرية التي اسهمت في تعزيز حضارة العنف وفي تعميق الهوة بين المسلمين وتمزيقهم شر ممزق وفيما يلي نذكر انموذجا من هذه الاحاديث مع دراسته ونقده سندا ومتنا :

حديث الفرقة الناجية: هو الانموذج الابرز للاحاديث التكفيرية وهو حديث مشهور ومعروف ومروي من طرق الفريقين السنة والشيعة ويعد المرتكز والاساس لانطلاق ما يعرف بعلم الملل والنحل(من اقسام الانثروبولوجيا في دراسة الاثنيات والطوائف والفرق الدينية) ، والحديث كما رواه الترمذي في سننه بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (ليأتين على امتي ما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل ... وان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق امتي على ثلاث وسبعين كلهم في النار الا ملة واحدة ، قال من هي يا رسول الله ، قال : ما انا عليه واصحابي)[٤٣] (الترمذي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ ، ج٤ ، ص ١٣٤.) ولحديث الفرقة الناجية هذا تأثير سلبي بالغ الخطورة على وحدة المسلمين وتماسكهم فهو يعمق الهوة ويزيد الشقة ويحول دون التقارب والتلاقي ، اذ كيف يتقارب شخص مع اخر هو بنظره من اهل النار.

الحديث على طاولة النقد : يمكن ان نسجل على الحديث المذكور مجموعة من الملاحظات في سنده ومتنه وهي بمجموعها ترسم علامة استفهام كبيرة حوله وتثير الريبة والشك بشأنه . اما السند : فهو غير تام سواء من طرق اهل السنة او طرق الشيعة اما من طرف السنة فلاشتماله على الضعاف بحسب موازينهم الحديثية واما من طرق الشيعة فهو ايضا غير نقي السند سواء في رواية الكليني او الصدوق [٤٤] ، ودعوى تواتر الحديث مجازفة لان اسانيده لا ترقى الى التواتر لا سيما بملاحظة المضعفات الكيفية الاتية التي تبطئ من سرعة حصول الاطمئنان به فضلا عن اليقين. واما متن الحديث فهو مضطرب جدا بل ان علامة الوضع لائحة عليه او على الاقل على بعض فقراته:

١-الاختلاف في عدد فرق امته (ص) ففي بعض طرقه ورد ان امته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة وفي بعضها انها ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة [٤٥](احمد بن حنبل ،من رواية انس ، ج ٣ ، ص١٢٠.)، وبعضها تشير الى افتراقها الى ثلاث فرق او اربع [٤٦].

٢-الاختلاف في عدد الفرق الناجية او الهالكة فبينما تحدد غالب الروايات الفرق الهالكة بـ (٧٢) او (٧١) فرقة ،تبعا للاختلاف الآنف في عددها نجد بعضها يعكس الامر، فيذكر ان الهالك منها هو فرقة واحدة والباقي في الجنة، كما ان بعضها يذكر ان الناجي مما كان قبلكم هو ثلاث والباقي هالك واما ابو هريرة فانه يروي الحديث دون ان يرد فيه اي اشارة عن الناجي والهالك من الفرق[٤٧] (مسند احمد ، ج٣ ، ص١٣٤.)

٣-الاختلاف الى حد التباين بحيث نلاحظ ان كل فرقة اعطت لختام الحديث الرواية التي تناسبها وعدت نفسها هي الفرقة الناجية والامر عينه في الفرق الهالكة. ، ومن غير المستبعد ان السياسة كان لها دور في نسج هذا الحديث بهدف الهاء الامة واشغالها بالانقسامات الداخلية.

مخالفة الحديث للكتاب و السنة : و سجل بعضهم ملاحظة اخرى على الحديث والسنة هي مخالفة للقران الكريم في قوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) آل عمران اية ١١٠ و قوله تعالى في سورة البقرة اية ١٤٣(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) فهذه الآيات تقرر ان هذه الامة هي خير الامم و انها اوسطها اي اعدلها و افضلها ، واما الحديث المذكور فيقرر ان هذه الامة شر الامم و اكثرها فتنة و فسادا و افتراقا فاليهود افترقوا ٧١ فرقة ثم جاء النصارى فكانوا ٧٢ فرقة ثم جاءت هذه الامة فكانت الاسوأ حيث افترقت الى ٧٣ فرقة فمعنى هذا الحديث باطل بصريح القران الكريم الذي يقرر ان هذه الامة خير الامم و افضلها .

واما مخالفة الحديث للسنة فباعتبار انه بلحاظ زيادة (كلها في النار الا واحدة) معارضين للأخبار المتواترة معنىً التي تنص على ان من شهد ان لا اله الا الله محمد رسول الله وجبت له الجنة و لو بعد عذاب و منها ما رواه البخاري (ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبغي بذلك وجه الله) و في لفظ مسلم (لا يشهد احد ان لا اله الا الله و اني رسول الله فيدخل النار او تطعمه) .

وقد يلاحظ على ذلك : بان مرجع هذا الكلام الى ما تقدم من انه لو كان المقصود بدخول النار في الحديث الخلود فيها ، فهذا مناف لما قام عليه الاجماع و النص من ان المسلم لا يخلد في النار.

وهنالك جملة من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة ، كما في حديث (جئتكم بالذبح)، والذي اعتمدته الجماعة السلفية دون محاكمته سندا ومتنا، وأسست من خلاله رفض الاخر المسلم وغيره، وأباحت ماله ودمه وعرضه.

ان الاشكالية القائمة اليوم وبالأمس تقوم على ان المسلمين يأخذون ويسلمون بما جاء عن طريق السنة والحديث بصرف النظر عن مدى مصداقية وموثوقية ذلك الحديث في مضمونه ورجاله، متجاهلين قواعدهم الشرعية التي اسسوا لها في الأخذ بالروايات واستنباط الأحكام الشرعية، التي تؤكد على التراتبية في استنطاق الاحكام والروايات ، إذ ان المصدر التشريعي الأول عند كل المسلمين هو القرآن الكريم وثانيهما هي السنة النبوية، واذا حدث التعارض بين الكتاب والسنة فيجب الاخذ بالقرآن الكريم الذي وبأجماع كل المسلمين لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه، لذا تجد اغلب الروايات التي هي محل الاشكال تتعارض مع النهج القراني، كما في حديث الفرقة الناجية والذي يتعارض وقوله تعالى في سورة الانبياء الاية١٠٧ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) ، وحديث جئتكم بالذبح فهو يتعارض وقوله تعالى في سورة محمد الاية٣٥(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) . وحتى في موضوعة نظرة وموقف الاسلام من المرأة هنالك بعض الروايات التي ينقلها الفريقين والتي تتعارض والنصوص القرانية التي تكرم المرأة ، كما في رواية (شاورهون وخالفوهن) ، و(غيرة المرأة كفر)، و(المرأة شر كلها)، بينما تجد القرآن الكريم يحث على مشورة المرأة والأخذ برأيها حتى من الأنبياء كما في قصة ابنتي نبي الله شعيب في قوله تعالى في سورة القصص آية ٢٦ (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) ، وكذلك في قصة بلقيس المذكورة في القران الكريم في سورة النمل من(الآية ٢٢ الى الآية ٤٣) ستجد فيها ابهى صور الرأي والمشورة ورجاحة العقل الذي تتمتع به بلقيس.

ان هذا لا يعني التشكيك بالموروث الروائي فالسنة النبوية المطهرة جاءت مكملة ومفسرة للقران الكريم، غير إنه وكما استعرض البحث يجب الوقوف عند جملة من الروايات التي طالتها يد الوضع والتدليس، لتنقية الموروث والتراث من ذلك اللمم الذي يستغله المغرضون والمدلسون بين الفينة والأخرى.

الاستنتاجات:

١- من الواضح على وفق مضمون هذا البحث ان المشتركات في الاسلام تمثل المساحة الاوسع في مبانيه و تشريعاته ، و الاختلافات لا تشكل الا النزر اليسير.

٢- ان القاعدة الاساسية في الاسلام هي عصمة الدماء بغض النظر عن هوية اصحابها المذهبية و الدينية .

٣- ان المجتمعات الاسلامية القائمة اليوم لم تعتمد الاسلام دستوراً و شرعة في نظامها الحياتي .

٤- ان الاسلام يدعو الى تشكيل مجتمع متنوع دينياً ، و الاعتدال و الوسطية و الاندماج من مرتكزاته ، اما التطرف و التكفير فسمات طارئة على الدين الاسلامي بفعل السياسة التي أدت دوراً خبيثاً في تشتيت و تمزيق الامة .

٥- ان اعتماد القلة القليلة من النصوص الواردة في التراث الاسلامي التي تدعو الى الفرقة و التناحر لا تمثل بحد ذاتها العنوان الابرز للمفاهيم الاسلامية .

التوصيات:

١- على الرغم من ان التراث الاسلامي انقى ارث انساني ورثته امة من الامم لكن مع ذلك فيه الغث الى جانب السمين و السقيم بجوار الصحيح و المبين و المحكم الى جانب المجمل و المضطرب، و من هنا انبثقت الحاجة الى غربلته و نقده و تصفيته وهي مسؤولية المنتمين الى تراثه.

٢- ان خروج الامة من نفق التكفير و التكفير المضاد لن يتم الا بعد الاتفاق على ضوابط الاسلام و الكفر و رسم الحدود الفاصلة بينهما ، و نقصد بالإسلام هنا معناه الرسمي القانوني الذي يعد المرء معه مسلما و تجري عليه احكام المسلمين في الزواج و الميراث و غيرها حتى وان لم يلتزم بالتعاليم الاسلامية و يمتثل التكاليف الشرعية .

٣- اهمية الدور الذي تؤديه المؤسسات التربوية و الاعلامية بوسائلها كافة في اشاعة حضارة التسامح و الحوار و التعايش .

٤- ضرورة الافادة من تجارب البلدان التي تشترك معنا في الدين و العرق في مسألة الاندماج كما في تجربة سلطنة عمان التي تقوم على اساس الاندماج و الالتقاء و الذوبان حتى في المساجد ، فهناك يبنى المسجد لعموم المسلمين و ليس خاصا بطائفة او مذهب و لذا تعد تجربة التعايش المذهبي في عمان من أفضل التجارب في هذا المجال .

٥- ضرورة الاهتمام بدور حملة مشاعل الوحدة و التقريب و احياءه مع نبذ دعاة الفرقة و التناحر وفضحهم على الصعد كافة .

الهوامش.....

١ الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، مادة جمع.
٢ المصدر نفسه.
٣ نادي عمر الجولاني ، مبادئ علم الاجتماع ، التعارف ، بيروت ، ١٩٨٢، ص٣٠٤٢٧٧
٤ المصدر نفسه ص ٣٠٦.
٥ خليل ابو العينين ، فلسفة التربية الاسلامية في القران الكريم ، القاهرة ، ١٩٨٦، ص٢٧٧
٦ منذر الحكيم ، مجتمعنا في تراث محمد باقر الصدر ، دار التعارف ، بيروت ، ٢٠١١، ص٦٥.
٧ ابن منظور لسان العرب ، العلمي ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ج ١٠ ، ص٢٧١.
٨ المتقي الهندي ، كنز العمال ، الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥، ج٣، رقم الحديث ٥٣٤٨
٩ محمد البصير ، الف كلمة للأمام علي ، الآداب، النجف،١٩٦١،ص٥
١٠ كنز العمال ، مصدر سابق ج١١،ص٣١٨.
١١ المائدة ، اية ١٠١.
١٢ كنز العمال، مصدر سابق ، المنبت الذي عطب دابته من شدة السير و هي مأخوذة من البت و هو القطع اي صار منقطعا لم يصل الى مقصودة و نقب مركوبه و هذا معنى (و لا ظهرا ابقى).
١٣الكليني ، الكافي ، دار الكتب الاسلامية ، ايران ١٣٨٨هـ ، ج٢ ،ص٨١.
١٤حسين الخشن ، الشريعة تواكب الحياة، دار الهادي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٦.
١٥سورة المائدة ، اية ٧٠.
١٦سورة ص ، اية ٢٦.
١٧المجلسي ، بحار الانوار ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٩٨٣ ج١٠، ص١٠٠.
١٨الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، احياء التراث ، قم ١٤١٤هـ ، ج١٢ ، ص٣٠٢.

١٩كنز العمال ، مصدر سابق ، ج٦ ، الحديث رقم ١٥٠٣٥.
٢٠الواسطي ، عيون الحكم و المواعظ ، دار الحديث ، قم ١٣٧١ هـ ص٥٣٦.
٢١المصدر نفسه ص ٩٩.
٢٢سورة الحجرات ، اية ١٢.
٢٣النور ، اية ١٢.
٢٤البخاري ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨١، ج٣، ص١٨٨.
٢٥الواسطي ، مصدر سابق ، ص ٥٢٧.
٢٦سورة الاسراء ، اية ٣٦.
٢٧النجم ، اية ٢٨.
٢٨ سورة القلم ، اية ٤.
٢٩ محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ ،ص ٦٦٢ ، باب نصص.
* الشريعة : يذكر ابن منظور في معجمه "لسان العرب" ان الشريعة هي الموضع الذي منه الى الماء وان الشرعة والشريعة في كلام العرب (شرعة الماء) وهي مورد الشارعة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ،مضيفا ان الشريعة هي ايضا ما شرعه الله لعباده وما امر به ، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر اعمال البر ، ، ويذهب المعجم المأثور للزبيدي "تاج العروس" الصادر بعد ذلك بنحو خمسة قرون الى ابعد من ذلك في التحديد والتخصيص ، قال بعضهم سميت الشريعة شريعة تشبيها بشرعة الماء من حيث ان من شرع فيها على الحقيقة المصدوقة روي وتطهر واعني بالري ما قال بعض الحكماء : كنت اشرب فلا اروى فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب ، وليس من قبيل الصدفة ان ثمة رابطا بين الشريعة كاصطلاح عام للقانون الاسلامي والشريعة كالطريق – النهج ، وايضا كقانون الماء فمركزية الماء بالنسبة للإسلام واضحة في المفهوم الاقتصادي بمثل وضوحها في المفهوم الشعائري فتجاوب الفقهاء مع هذه المركزية بتطويرهم نظام راق جدا يتناول جميع جوانب القانون كما يعيه العالم المعاصر وهكذا تطورت الشريعة من فقه ديني محض الى قانون للعالم الاسلامي مبني على الاعراف والعادات ، متوسع في حوزته ليشمل ما يسميه القانون العصري انظمة اساسية وامورا عرفية وقرارات قضائية وفتاوى شرعية وغيرها .
٣٠ عز الدين بحر العلوم ، الاجتهاد والتقليد ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٨٠ ، ص ٧٦.
٣١ ابن ابي الحديد المعتزل ، شرح نهج البلاغة ، ج١ ، دار المعارف ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٨٢.
٣٢ سورة السجدة ، اية ٧.
٣٣ سورة طه ، اية ٥٠.
٣٤ مرتضى مطهري ، محاضرات في الدين والاجتماع ، دار النشر مدين ، قم ، ٢٠٠٨ / ص٤٧٤.
٣٥ المصدر نفسه ص ٤٧٦.
٣٦ يقال ان الملك الذي عاصر (ماني) قال له : اريد ان اقدم لك اجل خدمة ممكنة بحسب فلسفتك فأخلصك من شر هذه الحياة فقتله : انظر : احمد واعظي ، المزدكية والمانوية ، طهران ١٤٢٥هـ ، ص ٦٢.
٣٧ سورة البقرة، اية ٣٠.
٣٨ سورة البقرة ، اية ٣٠.
٣٩ سورة البقرة ، اية ٣٠.
٤٠ الطبري ، مكارم الاخلاق ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص١٢٥.
٤١ التوبة ، الآية ٣٣.
٤٢ النور، الآية ٥٥.
٤٣ الترمذي ، سنن الترمذي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ ، ج٤ ، ص ١٣٤.
٤٤ المعارج ، مجلة شهرية متخصصة بالدراسات القرآنية ، مقال الشيخ حسن السقاف ، العدد ٤٣ ، ص ١٠١.
٤٥ احمد بن حنبل ، مسند احمد ، من رواية انس ، ج ٣ ، ص١٢٠.
٤٦ بحار الانوار ، مصدر سابق ، ج ٢٨ ، ص٩-١٠.
٤٧ مسند احمد مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٣٤.

المصادر والمراجع:

١. القران الكريم.
٢. ابن ابي الحديد المعتزل ، شرح نهج البلاغة ، ج١ ، دار المعارف ، بيروت ، ١٩٨٢.
٣. ابن منظور، لسان العرب ، العلمي ، بيروت ، ج١ ، ١٩٨٠.
٤. احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج٤ ، دار المكنز ، جدة ، المملكة العربية السعودية،٢٠١٠.
٥. البخاري ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، ج٣ ،١٩٨١
٦. الترمذي ، سنن الترمذي ،ج٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٢
٧. الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، احياء التراث ، ج ١٢ ،قم ، ايران ، ج١٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٢
٨. حسين الخشن ، الشريعة تواكب الحياة، دار الهادي ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
٩. خليل ابو العينين ، فلسفة التربية الاسلامية في القران الكريم ، القاهرة ، ١٩٨٦
١٠. الطبري ، مكارم الاخلاق ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٩١ .
١١. عز الدين بحر العلوم ، الاجتهاد والتقليد ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٨٠.
١٢. الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، مادة جمع ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،٢٠٠٥.
١٣. الكليني ، الكافي ، دار الكتب الاسلامية ، ايران ١٣٨٨هـ ، ج٢ .
١٤. المجلسي ، بحار الانوار ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ج١٠ ،١٩٨٣
١٥. محمد البصير ، الف كلمة للأمام علي ، الآداب، النجف،١٩٦١
١٦. محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣
١٧. مرتضى مطهري ، محاضرات في الدين والاجتماع ، دار النشر مدين ، قم ، ايران،٢٠٠٨.
١٨. منذر الحكيم ، مجتمعنا في تراث محمد باقر الصدر ، دار التعارف ، بيروت ، ٢٠١١.
١٩. نادي عمر الجولاني ، مبادئ علم الاجتماع ، التعارف ، بيروت ، ١٩٨٢.
٢٠. الواسطي ، عيون الحكم و المواعظ ، دار الحديث ، قم ، ايران ،١٣٧١، ايران، ١٩٩٩.

الدوريات:

٢١. المعارج ، مجلة شهرية متخصصة بالدراسات القرآنية ، مقال الشيخ حسن السقاف ، العدد ٤٣ .

Sources and references:

1-.The Holy Quran .
2-Ibn Abi al-Hadid al-Mutasil, Explanation of Nahj al-Balagha, 1, .Dar al-Ma'aref, Beirut, 1982.
3-.Ibn Manzoor, San'a al-Arab, al-'Alami, Beirut, 1, 1980 .
4-Ahmed Bin Hanbal, Musnad Ahmed, C4, Dar Al-Makenz, Jeddah, .Saudi Arabia, 2010.
5-Bukhari, Sahih al-Bukhari, Dar al-Fikr, Beirut, c. 3, 1981 .
6-Tirmidhi, Sunan al-Tirmidhi, C4, Dar al-Fikr, Beirut, 1982
7-The Free World, Shiite Means, Reviving Heritage, C12, Qom, Iran, C 12, 1414 e, 1992
8-Hussein Al-Khashan, Shariah Keeping Up With Life, Dar Al-Hadi, .Beirut, 2004
9-Khalil Abul-Enein, The Philosophy of Islamic Education in the Holy Quran, Cairo, 1986
10-Tabari, Makarim Ethics, Dar Al-Tarbiyah, Baghdad, 1991
11-Izz al-Din Bahr al-Ulum, Ijtihad and Tradition, Al-Adab Printing .Press, Najaf, 1980
12-Turquoise Abadi, The Surrounding Dictionary, Collective .Material, The Mission Foundation, Beirut, 2005
13-.Al-Kalini, Al-Kafi, Islamic Book House, Iran, 1388 AH, c

14-Al-Majlisi, Sailor Al-Anwar, Al-Wafa Foundation, Beirut, c 10, 1983
15-Mohammed Al-Basir, a thousand words before Imam Ali, Arts, Najaf, 1961
16-Mohammed bin Abi Bakr al-Razi, Mukhtar al-Sahah, Dar al-Resala, Kuwait, 1983
17-Morteza Motahari, Lectures in Religion and Society, Madin .Publishing House, Qom, Iran, 2008
18-Munther al-Hakim, Our Community in the Heritage of .Muhammad Baqir al-Sadr, House of acquaintance, Beirut, 2011
19.Omar El-Golani Club, Principles of Sociology, Beirut, 1982
20-Al-Wasti, The Eyes of Government and Mawaz, Dar al-Hadith,
21-.Qom, Iran, 1371, Iran, 1999
- :Periodicals
1-Al-Ma'arj, a monthly journal specialized in Quranic studies, Sheikh Hassan Al-Saqqaf, No. 43

.

Islamic society between centrism and extremism Anthropological reading in the Islamic texts

Keywords: Community, moderation, Extremism, Islamic Texts

Mother. Dr. Ahmed Abdel-Rida Mohammed Al-Hassani.
University of Baghdad / Faculty of Arts / Department of Sociology

Abstract

The study dealt with several topics, including: Muslim society extremism or moderation ?, and the Islamic text, standing on a set of texts and concepts that were manipulated by the hands of the situation and fraud, which constituted and continue to pose a threat to the structure of Muslim societies that have become and its value on love and human brotherhood Mushroom people on them. Such as the concepts of extremism and atonement founded by some of these texts aimed at presenting Muslims as advocates of evil and aggression and not accepting the other regardless of race and belonging. Therefore, the study tried to identify the trends of extremism and moderation and the texts of them, . The study adopted the analytical methodology based on the value anthropological approach, which deals with man according to his physical and spiritual existence, the two components which constitute his true and original identity..